

132820 - يحتج بالقدر عند المعصية ويقول : " الله غالب "

السؤال

في بلدنا كثيرا ما نقول كلمة "الله غالب" ، وقد يكون ذلك في سياق الاحتجاج على عدم فعل أمر ما ، فمثلا تقول لشخص لماذا لم تفعل كذا وكذا ؟ فيجيب الله غالب ، تقول لماذا لم توف بعهدك ؟ فيجيب الله غالب ، فما حكم هذه الكلمة ؟ خاصة في ذلك السياق ؟

الإجابة المفصلة

يقول الله عز وجل : (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يوسف / 21

قال ابن كثير :

" أي إذا أراد شيئا فلا يُرَد ولا يمانع ولا يخالف ، بل هو الغالب لما سواه .

قال سعيد بن جبير : أي : فعال لما يشاء " انتهى .

"تفسير ابن كثير" (4 / 378) .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله :

" أي : أمره تعالى نافذ ، لا يبطله مبطل ، ولا يغلبه مغالب ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) فلذلك يجري منهم ، ويصدر ما يصدر ، في مغالبة أحكام الله القدرية ، وهم أعجز وأضعف من ذلك " انتهى .

"تفسير السعدي" (ص 395) .

وهذا كقوله تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) الأنعام / 18 ، ونحو ذلك .

فقول القائل : " الله غالب " متى قصد به وصف الله بالغلبة والقدرة ، والعزة والقهر ، فقد وصف الله بما هو أهله .

أما إن قصد به الاحتجاج لنفسه عند التقصير أو العصيان فهو من الاحتجاج بالقدر، والقدر إنما يحتج به على المصائب لا المعائب .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

” الْقَدْرَ يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ وَلَا يَجُوزُ
الِإِحْتِجَاجُ بِهِ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَتَنْهِيهِ وَوَعْدِهِ
وَوَعْبِيدِهِ ” انتهى .

“مجموع الفتاوى” (1 / 155) .

وقال أيضا :

” وَلَمَّا كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِالْقَدْرِ
بِاطِلًا فِي فِطْرِ الْخَلْقِ وَعُقُولِهِمْ : لَمْ تَذْهَبْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ
الْأُمَّمِ ، وَلَا هُوَ مَذْهَبٌ أَحَدٍ مِنَ الْعُقَلَاءِ الَّذِينَ يَطْرُدُونَ
قَوْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ مَصْلَحَةٌ أَحَدٍ لَا فِي
دُنْيَاهُ وَلَا آخِرَتِهِ ” انتهى .

“مجموع الفتاوى” (1 / 167) .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله :

” كل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في
حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه .

وأما شرعا، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به،
ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله ” انتهى .

“تفسير السعدي” (1 / 763) .

وقد روى مسلم (2664) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ()
الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
الصَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ، احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ

بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي
فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ
؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

” فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر ولا
يتحسر على الماضي ، بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه
، فالنظر إلى القدر عند المصائب والاستغفار عند المعائب ” انتهى .

“مجموع الفتاوى” (77 /8) .

وقال أيضا :

” فإن الإنسان ليس مأمورا أن ينظر إلى القدر عند ما
يؤمر به من الأفعال ، ولكن عند ما يجرى عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها ،
فما أصابك بفعل الأدميين أو بغير فعلهم اصبر عليه ، وارض وسلم ” انتهى .

“مجموع الفتاوى” (178 /8) .

ويقال لهذا القائل : كما أن الله ” غالب على أمره ”

، فالله تعالى حكم قسط ، له الخلق والأمر ، وقد أمرنا بالطاعة ، ونهانا عن المعصية
؛ فالنظر إلى قدره ، والاحتجاج به لإبطال شرعه ، إنما هو من فعل المشركين ، كما حكى

الله تعالى عنهم ذلك ، فقال الله تعالى : (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا

وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ

أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) الأعراف/28-29

وينظر : إجابة السؤال رقم : (20806)

والله أعلم .